# مملكة آلالاخ

الأستاذ الدكتور عيد مرعي

قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة دمشق

# مملكة آلالاخ

تتميز سورية بغناها الأثري والتاريخي الممتد بعيداً في أعماق الزمن. فمنذ عصور ما قبل الكتابة استوطن الإنسان مناطق مختلفة منها، وأقام مدنه الأولى مستفيداً من غناها بالموارد الطبيعية المتعددة، ومن موقعها كجسر واصل ما بين مناطق الشرق القديم المختلفة.

من هذه المدن آلالاخ Alalach التي يُعرف موقعها الحالي باسم تل عطشانة الواقع عند المجرى السفلي لنهر العاصي بالقرب من إنطاكية في لواء اسكندرون السليب، جرى التنقيب في هذا الموقع وفي موقع الميناء القديم الواقع على بعد /٣/ كم غربي تل عطشانة، عند مصب العاصي في المتوسط، والمعروف باسم تل أو قرية الشيخ يوسف، على سبعة مواسم ما بين أعوام ١٩٣٧-١٩٣٩ و١٩٤٦-١٩٤٩، وذلك من قبل بعثة بريطانية برئاسة ليونادر وولي L. Woolley الذي كان قد حقق الشهرة والمجد من خلال تنقيباته في جنوبي العراق وكشفه عن مقبرة أور الملكية عام ١٩٢٢.

وقد أظهرت تلك التنقيبات، التي نشر وولي نتائجها في عامي ١٩٥٣ و١٩٥٥[١]، أن الإنسان استوطن في موقع الميناء منذ العصر الحجري الحديث (ما بين الألف الثامن والخامس قبل الميلاد)، إذ تم العثور على تمثال للإلهة الأم من الحجر المصقول يمثل امرأة جالسة، ارتفاعه ٧٧مم، وعرضه ٥٣مم[٢].

وعُثر أيضاً على فخار محلي أسود اللون، وعلى فخار حلف المطلي الذي يرقى تاريخه إلى العصر الحجري النحاسي، وعلى أختام مسطحة منحوتة من الحجر أو العظم[٣].

إن اكتشاف فخار حلف في هذا الموقع يدل على أن هذه المنطقة لم تكن معزولة، بل كانت لها علاقات مع مناطق بعيدة كمنطقة الجزيرة المركز الأول لفخار حلف المشهور.

أما موقع تل عطشانة فقد كشفت الحفريات فيه عن سبع عشرة سوية أثرية، يمتد تاريخها من بداية العصور البرونزية (بداية الألف الثالث) حتى بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد[٤]، زمن غزوات شعوب البحر التي دمرت آلالاخ وغيرها من المدن الساحلية السورية وصولاً إلى دلتا النيل في مصر.

عُثر في السوية السابعة عشرة على فخار مصنوع بوساطة الدولاب، وبنى السكان معبداً لعباده آلهة المدينة، وقد تم تجديده خمس عشرة مرة وبأشكال مختلفة وتم تكريسه لأكثر من إله. وله شكل مكعب من الآجر مساحته خمسة أمتار مربعة، وارتفاعه أربعة أمتار[٥].

وبُني فوقه معبد آخر في السوية السادسة عشرة فيه ساحة رئيسة طولها ثمانية عشر متراً، وعرضها ستة أمتار، وأرضها مرصوفة بمربعات من الفخار، وتحيط بها جدران مبنية بالآجر المطلي بطينة ملساء وكلس أبيض.

كانت السوية السادسة عشرة معاصرة للنصف الثاني من عصر أوروك (نحو ٣٢٠٠ق.م)، والسوية الخامسة عشرة معاصرة بدايات عصر جمدة نصر (٣١٠٠ق.م) والسوية الرابعة عشرة معاصرة لعصر جمدة نصر (نحو ٣١٠٠-٢٩٠٠ق.م) في جنوبي بلاد الرافدين. والدليل على ذلك الصحون الفخارية المتماثلة.

وعُثر في إحدى الحجرات من السوية الثالثة عشرة على ختم أسطواني نقش فيه مشهد وليمة مقدسة يشبه ما كان سائداً في بلاد الرافدين خلال النصف الأول من عصر السلالات الباكرة (٢٩٠٠-٢٧٠٠ق.م)[٦].

وكشفت الحفريات في السوية الثانية عشرة عن أعمدة من اللبن تشبه تلك التي عُثر عليها في أوروك في عصري أوروك وجمدة نصر. وتم العثور أيضاً على ختمين أسطوانيين من نموذج أختام عصر السلالات الباكرة في بلاد الرافدين. ويبدو أن بدايات نشوء القصر الملكي، وقيام سلطة حاكمة غير دينية تعود إلى هذه الفترة.

إن هذا التشابه الكبير بين مكتشفات آلالاخ وآثار جنوبي بلاد الرافدين يدل على وجود اتصالات وثيقة ما بين المنطقتين منذ بدايات الألف الثالث قبل الميلاد على الأقل. ويبدو أن آلالاخ استفادت من موقعها القريب من جبال طوروس الغنية بالفضة، وجبال الأمانوس الغنية بالأخشاب التي كانت مطلوبة بكثرة في بلاد الرافدين، وجعل اتصالها مع ممالك جنوبي بلاد الرافدين قوياً ومستمراً. وبما أن الملك شاروكين، مؤسس الإمبراطورية الأكادية في جنوبي بلاد الرافدين يذكر في كتاباته أنه وصل إلى "غابة الأرز وجبال الفضة"، أي الأمانوس وطوروس، فمن المحتمل جداً أنه هو المسؤول عن تدمير أبنية السوية الثانية عشرة في آلالاخ(٧).

تتصف السويات السابعة والرابعة بغنى أكبر بالمعلومات التي تمدنا بها المنطقة. فقد تم العثور في هاتين السويتين، بالإضافة إلى الأبنية واللقى الأثرية، على مجموعة الألواح الطينية المكتوبة بالخط المسماري واللغة الأكادية (اللهجة البابلية) يزيد عددها عن خمسمائة لوح، وتعود إلى فترتين زمنيتين مختلفتين من الألف الثاني قبل الميلاد.

تلقي المجموعة الأقدم، المكتشفة في السوية السابعة، أضواءً على العلاقات بين آلالاخ ويمحاض في نهاية القرن الثامن عشر وخلال القرن السابع عشر قبل الميلاد، عندما كانت آلالاخ تشكل جزءاً من مملكة يمحاض القوية التي كانت تشمل بسلطتها شمالي سورية كله آنذاك.

أما المجموعة الثانية، وهي الأحدث، وكُشف عنها في السوية الرابعة، فيرقى

تاريخها إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد أي إلى الفترة التي كانت آلالاخ خلالـــها مملكة تابعة لإمبراطورية حوري-ميتاني.

وقد تمت قراءة هذه الألواح وترجمتها ونشرها من قبل الإنكليزي وايزمن D.J. Wiseman عام ١٩٥٣ في مجلد بعنوان: The Alalakh Tablets, London 1953.

من الجدير بالذكر أن محفوظات إيلا الملكية العائدة إلى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد تذكر آلالاخ بصيغتين أ- لا-لا-خو و إ-لا-لا-خو[٨]، دون أن تقدم لنا أية معلومات عن وضعها ومكانتها السياسية، أو أي شيء آخر. ولكن يمكن القـــول أنـــها كانت تدخل ضمن نفوذ مملكة إيلا آنذاك.

نعرف من خلال نصوص آلالاخ أسماء بعض ملوك يمحاض، وأسماء حكـــام آلالاخ، حيث يذكر أبا-إل Abba-Il بن حمورابـــي الأول وخليفتـــه علـــى عـــرش يمحاض، الذي بدأ حكمه في منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد وكـــان يســـيطر على مناطق تقع شرقي الفرات، وتخضع له إيمار وكركميش.

ويتحدث نصان من نصوص آلالاخ (١و٤٥٦ من السوية السابعة) عن قيامـــه بالقضاء عل تمرد نشب ضده في مدينة إرِيتي Iritte الواقعة شرقي الفرات، التي كـان يحكمها أخوه ياريم ليم.

وكتعويض لياريم ليم عن تلك المدينة التي دُمرت عند القضاء عـــل التمـــرد، أعطاه أبّا-إل آلالاخ وموراز وبعض القرى الأخرى في منطقة العمق ليحكمها باسمه.

نستنتج من ذلك أن منطقة العمق بكاملها، ومن ضمنها آلالاخ بالطبع، كـــانت تتبع مملكة يمحاض خلال القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد. وتبين ألواح السوية السابعة أن آلالاخ كانت لها علاقات تجارية مع مدن ومناطق سورية مختلفـــة، إذ تظهر في قوائم الجرايات أسماء أشخاص من تونيب وأمـــورو وإيمـــار وقـــبرص

كمتسلمين لجرايات . ويذكر إلى جانب ذلك مدن إيلا وأوجاريت وموررار وأرازيــــق. وهناك ذكر لأشخاص وخيول وتاجر من أمورو[٩]. ويبدو أن علاقـــات آلالاخ بـــإيلا كانت قوية. فأحد النصوص مؤرخ بالسنة التي زوّج فيها الملك عميّ تاقوم ملك آلالاخ ابنه من ابنة حاكم إيلا[١٠]. ويشير نصان آخران إلى رحلات ملك آلالاخ أو سعاته إلى إيلا[١١].

بالإضافة إلى ذلك هناك إشارة إلى علاقات مع أوجاريت وإيمار وكركميـــش. فالنص رقم /٣٤٩/ يذكر أن حاكم كركميش أرسل ثمانية وعشرين ألفاً وثمانيـــة رأس من الأغنام إلى آلالاخ، ولكن دون أية إشارة إلى الغرض من وراء ذلك. هناك احتمال أن المرء احتاج صوف هذه الأغنام في آلالاخ لإنتاج الأنسجة، لذلك أُرسلت الأغنـــام كصفقة تجارية من كركميش إلى آلالاخ.

وتذكر نصوص السوية السابعة المشتغلين بصناعة النسيج مرات متعددة. ربمـا يكون هذا إشارة إلى المركز البارز لصناعة الأنسجة وأهميتها فـــي اقتصـــاد آلالاخ. ومن المعتقد أن الأنسجة التي تذكرها نصوص مـــاري كأنســـجة يمحاضيـــة، كـــان مصدرها آلالاخ. إذ أن آلالاخ كانت تؤلف في ذلك الوقت جزءاً من مملكة يمحـــاض، ومن الطبيعي أن تكون التجارة الخارجية باسم المملكة، وليس باسم جزء منها، لذلـــك عُرفت الأنسجة المصدرة نسبة إليها وليس إلى آلالاخ.

بالنسبة للوضع الاجتماعي في آلالاخ في القرن السابع عشـــر قبـــل الميـــلاد، فيمكن معرفة بعض جوانبه من خلال بعض المعلومات الواردة في النصـــوص التـــي تعود إلى عهدي ياريم ليم وابنه عميّ تاقوم.

كان السكان يتألفون من طبقتين رئيسيتين هما الأحرار والعبيد. ويتمتع الأحرار بالامتيازات المختلفة، ونميز بينهما الموظف والتاجر والفلاح والحرفي وغيرهم. أمـــا العبيد فكانوا نوعين عبيد الدين، وهم مواطنون عليهم العمل في بيـــت مدينـــهم حتـــى

يسددوا دينهم مع الفائدة التي تتراوح ما بين ٢٠-٢٥%، وإذا لم يستطيعوا السداد كانت تهددهم العبودية الدائمة. بهذه الطريقة حصل الملك، الذي كان الدائن في معظم الأحيان، على أيدٍ عاملة رخيصة تعمل في قصره أو أرضه.

والنوع الثاني من العبيد هم المدينون الذين تحولوا إلى عبيد دائمين بسبب عجزهم عن سداد ديونهم وأسرى الحروب. من الجدير بالذكر أن عدد هؤلاء لم يكن كبيراً، وكان معظمهم يعمل في خُدمة الملك ويمكن بيعهم وشراؤهم، ويصل سعر العبد منهم إلى نحو خمسة وعشرين شيقلاً من الفضة (نحو ٢٠٠غرام)[١٢].

من أهم المكتشفات الأثرية التي تعود إلى هذه الفترة قصر ياريم ليم الذي بناه فوق قصر أقدم منه، وكان يغطي مساحة قدرها ١٠٠×٣٠م. وقد شكل اثنان من جدرانه المبنية من اللبين وبسماكة بلغت نحو ٢,٤م جزءاً من سور المدينة الذي كان يبلغ ارتفاعه نحو ثمانية أمتار، اتجاهه شمالي جنوبي، وله مدخل وحيد على طوله الغربي يقود إلى قاعة كبيرة تفصل بين جناحي القصر المؤلفين من عدد كبير من الحجرات. ويبدو أنه كان مؤلفاً من طابقين، بدليل "وجود درج كبير في زاويته الشمالية[١٣]. وقد جُهز القصر بمغاسل من أحجار متشابكة، ومجارٍ للمياه المالحة لنقلها إلى خارج المدينة[١٤]. وعُثر في قاعة الاستقبال الرسمية على بقايا رسوم جدارية مزخرفة بأشكال هندسية تشبه تلك الأشكال التي كانت تزين جدران القصر الملكي في كنوسوس في جزيرة كريت، كما أن تصميم القصر وأسلوب بنائه وتزيينه وغير ذلك من تفاصيل معمارية يشبه ما هو موجود في قصر كنوسوس وأبنية أخرى في كريت[١٥].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: أيهما الأقدم؟ قصر ياريم ليم في آلالاخ أم قصر كنوسوس في كريت. يجيب السيد ليونارد وولي على ذلك بقوله: إن قصر آلالاخ أقدم بنحو قرن من الزمن من قصر كنوسوس أو غيره من القصور الكريتية.

وتدين جزيرة كريت بهندسة أبنيتها وزخرفتها وزينتها إلى سورية[١٦].

توقف التطور التاريخي الحضاري في آلالاخ، الذي تمثله السوية السابعة نتيجة حملات الحثيين على شمالي سورية اعتباراً من منتصف القرن السابع عشر قبل الميلاد. فاعتباراً من ذلك التاريخ شعرت دولة خاتي التي قامت في آسية الصغرى واتخذت من خاتوشا (حالياً بوغازكوي شرقي أنقرة) عاصمة لها، إنها قوية بشكل كافٍ لترنو بأنظارها إلى ما وراء جبال طوروس. وكان الوضع الدولي مناسباً لتحقيق مثل هذه الأهداف. فمصر كانت ضعيفة، وتُحكم من قبل الهكسوس، بينما كان خلفاء حمورابي البابليون منشغلين بالقضاء على أعداء يهددون حكمهم. يفتخر الملك الحثي خاتوشيلي الأول (نحو ١٦٥٠ق.م) بحملاته على شمالي سورية فيقول: "في العام التالي (٢) سرت ضد آلالاخ ودمرتها بعد ذلك سرت ضد أورشو، ومن أورشو سرت إلى إغاكاليش، وسرت من مدينة إغاكاليش إلى تيشخينيا في طريق عودتي دمرت بلاد أورشو وملأت بيتي بكنوز...في العام التالي (٦) سرت ضد مدينة زارونتي، ودمرت زارونتي. سرت ضد خاشو. أمامه (أمام الملك) اتخذ العدو مواقعه، وكانت قوات مدينة حلب معه. في جبال أدالور (جزء من جبال الأمانوس) ألحقت بهم الهزيمة[١٧].

مع ذلك لم تكن كل الحملات الموجهة إلى سورية مكللة بالنصر، كما يحاول هذا النص أن يبين. فخاتوشيلي لم يستطع السيطرة على حلب، وترك مهمة إخضاعها لخليفته مورشيلي الأول.

بالنسبة لآلالاخ كشفت الحفريات عن آثار حريق كبير شمل القصر الملكي بكامله، فالجدران الآجرية السميكة تهدمت بالكامل، وتحول الملاط المؤلف من الرمل والكلس إلى ذرات من الزجاج [١٨].

بعد هذه الفترة، تتميز المعلومات المتوافرة عن آلالاخ بقلتها، إذ لا تمدنا مكتشفات السويات السادسة والخامسة بأية آثار هامة. ونعرف من المصادر الحثية أن

شمالي سورية، ومن ضمنه آلالاخ بالطبع، بقي خاضعاً بشكل اسمي للمملكة الحثية القديمة. واستمر هذا الخضوع حتى ظهور إمبراطورية حوري-ميتاني في منطقة الجزيرة وتوسعها باتجاه الغرب، باتجاه سواحل المتوسط الشرقية في أواخر القرن السادس عشر وبدايات القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

وتمثل هذه الفترة في آلالاخ السوية الرابعة التي عُثر فيها على مجموعة من الألواح المسمارية التي تمدنا بمعلومات هامة عن التطورات التي حدثت في آلالاخ آنذاك، ويتمتع نقش إدريمي العائد إلى هذه الفترة بأهمّية خاصة بين النصوص المكتشفة. وهو عبارة عن سيرة ذاتية نقشت على تمثال إدريمي ملك آلالاخ المنحوت من حجر كلسي (يتكون من خليط من الدولوميت والمغنيزيت)، وموجود حالياً في المتحف البريطاني في لندن، وقد عُثر على هذا التمثال البالغ ارتفاعه متراً واحداً وخمسة سنتمترات في ربيع عام ١٩٣٩م محطماً في حفرة في أرضية بناء ملحق بمعبد المدينة، رأسه مفصول عن جسده وعُثر في البناء على عرش من البازلت ارتفاعه خمسة وستين سنتمتراً، ووجد أمام العرش مذبح مربع الشكل من البازلت أيضاً ارتفاعه تسعة وثمانين سنتمتراً.

من المعتقد أن التمثال كان مقاماً في معبد مدينة آلالاخ عندما هاجمتها شعوب البحر في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ودمرتها. وبالطبع تم تدمير المعبد وتكسير التمثال الموجود فيه.

يعد التمثال من ناحية فنية عملاً متواضعاً، له وجه قبيح ومضحك، لكنه يُظهر إدريمي جالساً على عرش واضعاً يده اليمنى على صدره واليسرى على حجره، عيناه جاحظتان ووجه خالٍ من أية حيوية، تلف جسمه عباءة معروفة من تماثيل سورية أخرى، ويعتمر قلنسوة مخروطية كان يلبسها الملوك والآلهة السوريون. لكن أهمية التمثال وقيمته تكمن في النقش الذي يحمله على واجهته الأمامية والمؤلف من مائة

وأربعة سطور منقوشة بالخط المسماري واللغة الأكادية يمثل سيرة ذاتية يروي فيها إدريمي قصة حياته والأعمال التي قام بها، في بداية النقش يقدم إدريمي نفسه ويذكر اسم والده (السطران ١-٢)، وفي السطور ٣-٦ يذكر أن تمرداً حدث في حلب مقر حكم أبيه، وأرغمه هو وأخوته على الهرب إلى مدينة إيمار حيث يقيم أقرباء أمه:

أنا إدريمي بن إليم- إليمّا

خادم أدد وخيبات وعشتار سيدة آلالاخ، سيدتي.

في حلب بيت أبي

حدثت اضطرابات وهربنا إلى

سادة إيمار أخوة

أمي، وسكنا في إيمار(١٩).

مما لا شك فيه أن التمرد الذي حدث في حلب كان بتأييد من مملكة حوري-ميتاني التي كانت تحاول في أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد مد سيطرتها باتجاه الغرب، نحو ساحل المتوسط. كانت حلب قبل ذلك قد فقدت دورها الهام في شمالي سورية نتيجة الاحتلال الحثي بقيادة مورشيلي الأول في بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد. ولكن بعد موت مورشيلي الأول مرت الإمبراطورية الحثية في مرحلة من الضعف والفوضى نتيجة الصراعات الداخلية التي حلت بها. فاستطاعت حلب وخلال هذه المرحلة استعادة استقلالها وقوتها ودورها الهام في المنطقة، وقام على حكمها الملوك شارا-إل وأبّا-إل وإليم- إليمّا والد إدريمي.

أدى سقوط حلب وهرب أسرة إدريمي نتيجة التمرد الذي حدث فيها إلى أن يمد باراتانا ملك مملكة حوري-ميتاني نفوذه حتى سواحل البحر المتوسط الشرقية. لا ترد في النص تفاصيل ما حدث في حلب، ولكن بما أن النص لا يذكر شيئاً عن هرب

إليم-إليمّا والد إدريمي مع الهاربين إلى إيمار، فيمكن القول أنه قُتِلَ خلال التمرد الذي حدث، أو أن موته الطبيعي كان دافعاً للقيام بالتمرد.

كانت إيمار واقعة خارج منطقة نفوذ إليم -إليمّا. أما في القرنين الثامن والسابع عشر قبل الميلاد فكانت تحت سيطرة ملوك يمحاض، وكانت تقوم بينها وبين آلالاخ علاقات قوية.

بعد إقامة غير محددة في إيمار غادرها إدريمي متوجهاً إلى أرض كنعان في جنوب غربي سورية، وذلك عبر بادية الشام. أما الأسباب التي دعته إلى التوجه إلى أرض كنعان دون سواها فكانت على ما يبدو، قرب هذه المنطقة من البحر ومن مناطق النفوذ المصري في سورية، مما يسّهل الاتصال مع المصريين، وطلب العون منهم، إذا دعت الحاجة، من أجل العودة إلى مملكة أبيه. يضاف إلى ذلك أن أرض كنعان كانت ملجأ للعديد من سكان ملكة إليم- إليما، كما يرد في النقش صراحة:

حصاني وعربتي وخادمتي

أخذتها، وفي أرض الصحراء

عبرت ولدى جماعات السوتيين

دخلت. معه (مع الخادم)

بتُّ أمام عرش زاكار. وفي اليوم الثاني

رحلت وإلى أرض كنعان

وصلت. في ارض كنعان

تقع مدينة أميّا.

في مدينة أميّا سكن

أناس من حلب، وأناس من أرض موكيش،

وأناس من أرض نيخي، وأناس من أرض أمائي.

فيما بعد توصل إدريمي، كما يبدو، إلى اتفاق مع باراتارنا ملك حوري-ميتاني، وعاد إلى آلالاخ ليحكم فيها كملك تابع له (السطور ٢٧-٥٨):

ولدى جماعات الخابيرو أقمت سبع سنوات.

تركت عصافير تطير، وتفحصت (أحشاء) الحملان.

وفي السنة السابعة رجع أدد إلى رأسي، ومن ثم صنعت سفناً.

عساكر نولا جعلتهم يصعدون إلى السفن.

وبحراً من أرض موكيش اقتربت، وأمام جبل خازي (الأقرع) وصلت إلى اليابسة. بعد ذلك صعدت وعندما سمعت بلدي بي الأبقار والأغنام جلبها المرء لي.

وفي يوم واحد وكإنسان واحد، أرض نيخي وأرض أمائي موكيش وآلالاخ مدينتي عادوا إليَ. أخوتي سمعوا (بذلك) وأتوا إليّ. أخوتي استراحوا عندي. حميت إخوتي. عدا ذلك سبع سنين باراتارنا الملك القوي ملك الحوريين عاداني. في السنة السابعة إلى باراتارنا الملك، ملك الحوريين أرسلت أنواندا، وتحدثت عن جهود آبائي بأن آبائي كانوا قد خلدوا إلى الهدوء. وأجدادنا (كانوا) طيبين مع ملوك الحوريين، وأنهم أقسموا بينهم قسماً عظيماً. الملك القوي سمع عن جهود آبائنا، وعن القسم فيما بينهم، وخاف من علامة القسم. لأجل فحوى القسم. ولأجل جهودنا قبل هديتي الترحيبية. وفي شهر كينونو (كانون) التالي قدمت أضاحٍ كثيرة وأعدت إليه البيت الهارب في إنسانيتي، في إخلاصي، بشكل ودي أقسمت له، لذلك أصبحت ملكاً على آلالاخ.

ثم يذكر إدريمي أنه قام بتحصين مدنه وتمتين أسوارها (السطور ٦٠-٦٣) لزيادة فاعليتها الدفاعية ورد الهجمات المعادية. كذلك يذكر أنه قام بحملة عسكرية

على بعض القلاع والمدن الحثية (السطور ٦٤-٨٠). ولكنْ يبدو أن تلك الحملة كـانت بهدف السلب والنهب، وحدثت في وقت كانت فيه الإمبراطورية الحثية تمر بموجة من الفوضى والاضطرابات الداخلية، لم تمكنها من الرد على العمل العسكري الذي قام به إدريمي. ولربما قام إدريمي بذلك بتشجيع من سيده ملك حوري-ميتاني. نقــــرأ فـــي النقش ما يلي:

أسوارها (أسوار المدن)

التي أقامها الأجداد من تراب

جعلتها ترتفع بالتراب

ومن أجل القتال زدتها علواً.

أخذت العساكر وإلى أرض خاتي.

صعدت، واستوليت على سبع قلاع (مدن):

باشاخي، داماروتلا،

خولاخان، زيلا، إي،

أولوزيلا وزارونا،

هذه القلاع (المدن) استوليت عليها ودمرتها. بلاد خاتي

لم تتجمع ولم تأتِ ضدي.

صنعت ما يشتهيه قلبي: غنائمهم،

نهبتها، أملاكهم وأمتعتهم وممتلكاتهم

أخذت ووزعتها على عساكري.

ويفتخر إدريمي بتحسين أوضاع السكان المستقرين، وبتحويل البدو غير المستقرين إلى حياة الحضر من خلال تأمين مساكن لهم (السطور ٨٤-٨٦) يقول:

السكان الذين في بلدي

مسكنهم جعلتهم يسكنون بشكل أفضل.

الذين لم يسكنوا في مسكن (قط)

جعلتهم يسكنون. ووطدت بلدي.

إن هذه أقدم إشارة إلى محاولات توطين البدو. وربما قام بها إدريمي من باب مكافأة بعض البدو الذين ساعدوه في العودة إلى الحكم، أو أنه نوع من الحنكة السياسية والنظرة بعيدة المدى لجعل هؤلاء عناصر موالية لحكمه.

وفي نهاية النص يصب إدريمي شتائم ولعنات الآلهة وغضبها على كل من يغير نقشه أو يزيل تمثاله، ويذكر أنه حكم ثلاثين عاماً كملك في آلالاخ. ويتمنى النصر والحياة الطويلة لكاتب النص المدعو شاروروا (السطور ٩٢-١٠٤).

يتبين لنا من خلال النقش أن إدريمي حكم مملكة موكيش وعاصمتها آلالاخ، التي كان يحدها البحر المتوسط من الغرب وكيزواتنا (منطقة في كليلية) من الشمال، ولها حدود مشتركة مع أوجاريت في الجنوب مدة ثلاثة عقود من السنين في بدايات القرن الخامس عشر قبل الميلاد. أما حلب فبقيت خارج نفوذه وتحت السيطرة الميتانية المباشرة. وعدّه خلفاؤه مؤسس سلالة جديدة، واستخدموا خاتمه في ختم وثائقهم وبقي تمثاله مقاماً ومقدساً في آلالاخ قرابة ثلاثمائة عام، أي حتى العصر الذي حدث فيه التغير الكبير في شمالي سورية بدخول شعوب البحر من جهة، وانتشار الآراميين وانهيار الإمبراطورية الحثية من جهة ثانية.

يبدو أن حملات الفراعنة المصريين الكبار من الأسرة الثامنة عشرة (تحوتمس

الثالث ١٤٦٨-١٤٣٩ق.م. وأمنحوتب الثاني ١٤٣٨-١٤١٢) على شمالي سورية لـم تطل آلالاخ، ولم تؤد إلى حدوث أية تغيرات فيها. والدليل عل ىذلك عدم ذكر مصـو أو أي من فراعنتها (تحوتمس الثالث وأمنحوتب الثاني) في نقش اعتلى عـرش آلالاخ بعد إدريمي وفي النصوص الأخرى، واستمرار التطور السياسي والحضـاري فـي آلالاخ دون حدوث أي تغيير أو انقطاع.

حسب النصوص اعتلى عرش آلالاخ بعد إدريمي ابنه نيقميبا، وذلـك علـى عكس ما يذكر إدريمي في سيرته الذاتية إذ يقول (السطور ٩٠-٩١):

هذا ما عملته

وعهدت به إلى يد ولدي أدد نيراري.

ربما يكون سبب هذا التناقض الظاهري ولدين لإدريمـي، الأول أدد نـيراري الذي يحكم لفترة طويلة، والثاني نيقميبا الذي حكم فترة أطول، لذلـك تعـود الرقـم المكتشفة في السوية الرابعة كلها إلى عهده. أو أن الاسمين لشخص واحد.

من أعمال نيقميبا قيامه بتوسع القصر الملكي الذي بناه أبوه إلى الضعف تقريباً وتزويده بحمامات ودورات مياه وأقنية لتصريف المياه، وجعله ثلاثة طوابـق، بينمـا كانت بيوت الأغنياء مؤلفة من طابقين(٢٠). كان نيقميبـا معـاصراً للملـك الميتـاني ساوشتتار وتابعاً له بدليل ظهور طبعة خاتمه الخاص على عدد من الوثـائق لتـأكيد سلطته.

يتحدث أحد النصوص (رقم ٢) عن معاهدة عقدها نقيميبا ملك موكيش وآلالاخ مع إر-أدد ملك تونيب المملكة المعتقد أنها كانت تجاور حلب من الجنوب، ولها حدود مشتركة مع آلالاخ.

المعاهدة تنظم العلاقة ما بين المملكتين، ويلفت الانتباه فيها أن أحـد بنودهـا

ينص على قطع أيدي الأشخاص الذين يخفون العبيد الهاربين من مملكة آلالاخ في تونيب (السطور ٣٠-٣٢):

"إذا لم يحلفوا (أشخاص) وجاء (رجل) وأخرج عبيده من عندهم، فهم لصوص (شرّاقو)، أيديهم يجب أن تقطع Up-ta-ga ri-it-ta-an وعليهم أن يدفعوا للقصر ستة آلاف (شيقيل)، نحاس[٢١] وتشير معاهدة عقدها أحد الملوك الحثيين مع المدعو لابئو ملك تونيب إلى اتفاق ما بين آلالاخ وتونيب، وتذكر آلالاخ وملكها إليم-إليمّا الثاني، الذي من المؤكد أنه كان ابن نيقميبا[٢٢].

وقد حدثت في عهده كارثة في آلالاخ سببها تعرض شمالي سورية للهجمات الحثية من جديد بقيادة توتخاليا الثاني يعد مؤسس الإمبراطورية الحديثة (نحو ١٤٦٠ق.م.) وسقطت حلب بيده، وكذلك آلالاخ وتعرضت للتدمير. غير أن النفوذ الحثي لم يدم طويلاً بعد توتخاليا الثاني، بسبب تداعي الإمبراطورية التي أنشأها، فعاد النفوذ الحوري-ميتاني إلى شمالي سورية، والنفوذ المصري إلى جنوبها، وعادت الحياة من جديد إلى آلالاخ، التي يُعتقد أن أحد أمرائها كان معاصراً لأواخر عهد الفرعون المصري أخناتون (١٣٦٤-١٣٤٧ق.م.)، واسمه إتو-أدد، الذي تعاون مع ملوك نياونوخاشي ضد أوجاريت، وتم عزله من قبل الملك الحثي الكبير شوبيلوليوما الأول (١٣٨٠-١٣٤٦ق.م.)، الذي أخضع شمالي سورية كله للسيطرة الحثية ووصل إلى لبنان، منهياً بذلك عهد السيطرة الميتانية على هذه المنطقة. أصبحت آلالاخ نتيجة لذلك مقاطعة حثية، وأقام فيها موظفون حثيون عُثر على أختامهم التي استخدموها، وهي على شكل كرات مسطحة تحمل كتابات هيروغليفية[٢٣].

ويمثل هذه الفترة في آلالاخ السويتان الثالثة والثانية، الغنيتان بفخار نوزي الذي كان شائعاً آنذاك.

بقيت آلالاخ وغيرها من مدن شمالي سورية خاضعة حتى بداية القرن الثاني

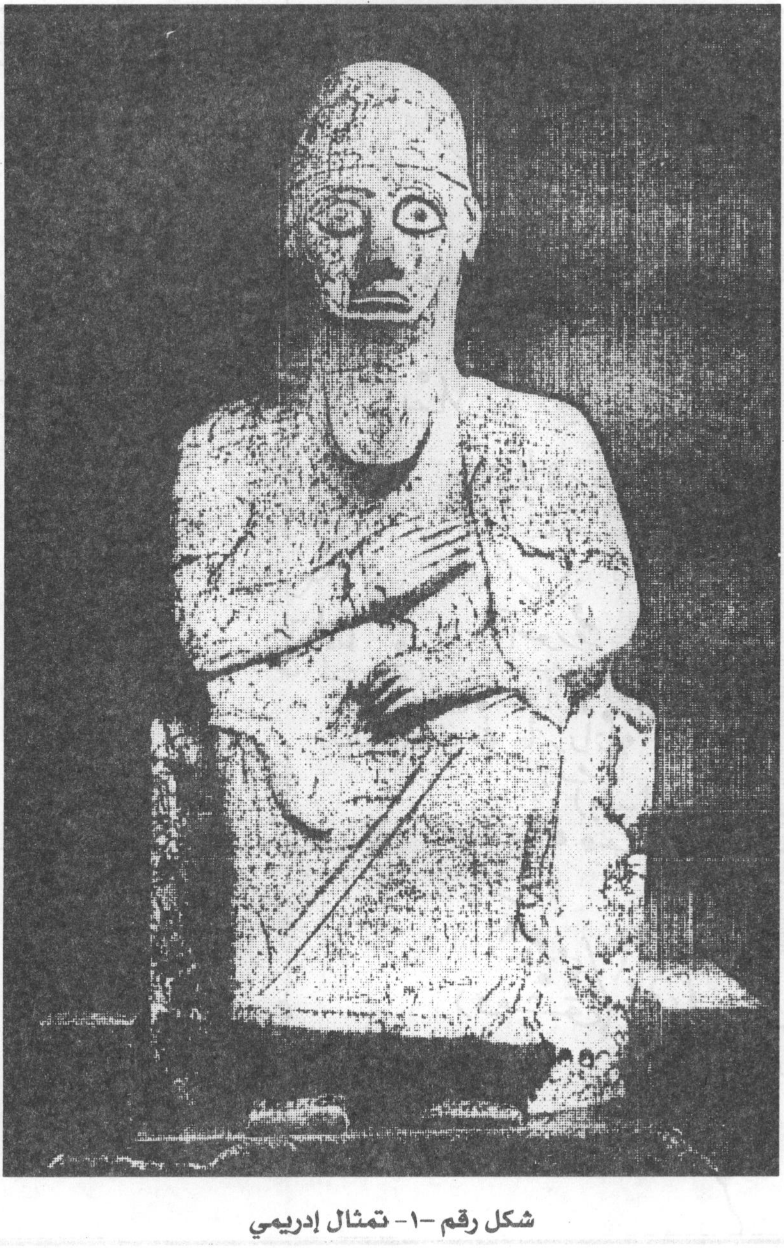
عشر قبل الميلاد، عندما قامت شعوب البحر، معتمدة على أسلحتها الحديدية، باكتساح المنطقة والقضاء على بقايا الإمبراطورية الحثية أولاً، ثم الاتجاه جنوباً حتى الوصول إلى دلتا النيل حيث هزمهم الفرعون المصري رعمسيس الثالث.

ولاقت آلالاخ التدمير والموت، ولم تعد تسكن بعد ذلك الزمن. غير أن مرفأها أعيد بناؤه فيما بعد ليخدم التجارة الإغريقية، وسمي بوزيديوم Posidium على اسم إله البحر عند الإغريق. وعثر على مكتشفات تدل على ازدهار هذه التجارة في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد.

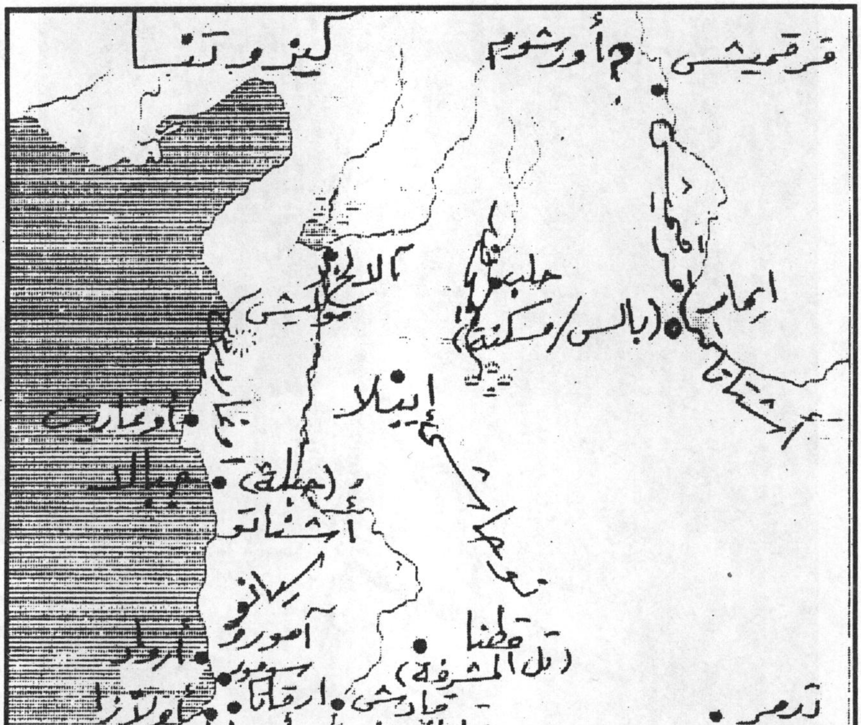
وفي عام ٣٠١ق.م. قام سلوقس الأول نيكاتور مؤسس السلالة السلوقية بتأسيس مدينة سلوقية إلى الشمال من بوزيديوم.

وشهد هذا المرفأ بعض الازدهار في العصور اللاحقة، وسمي مرفأ القديس سمعان اعتباراً من القرن السادس الميلادي [٢٤].

أما آلالاخ فقد بقيت نائمة تحت ركام السنين حتى أيقظتها معاول المنقبين في القرن الحالي.



شكل رقم -١- تمثال إدريمي


كيزوتنا
أورشوم
قرقميش
آلالاخ
حلب
إيمار
(بالس/مسكنة)
إيبلا
أوغاريت
أشاتو
أمورو
أرواد
قطنا
(تل المشرفة)
قادش
أرقاتا
تدمر
جبيل
بيروتا
حازي
دمشق
أبوم
أوزو
سورية
الألف الثاني
0 30 40 50 80 100
المقياس 1 175 000

# الحواشي

1- Alakh, an account of the excavations at Tell Atchana in the Hatay, 1937-1949, Oxford 1955; **A forgotten Kingdom**, London 1953.

تُرجم العمل الثاني إلى العربية فهمي الدالاتي بعنوان: **آلالاخ مملكة منسية**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٢.

٢- وولي، **آلالاخ مملكة منسية**، ص١٨وما بعدها.

٣- المصدر السابق، ص٢٥-٢٦.

٤- المصدر نفسه، ص٣٧ وما بعدها.

٥- المصدر السابق، ص٣٧.

٦- المصدر السابق، ص٤٤.

٧- المصدر السابق، ص٥١.

٨- مرعي، عيد، إبلا، تاريخ وحضارة أقدم مملكة في سورية، دمشق ١٩٩٦، ص٢٤.

9- Mari, A., **Der Hanadel Zwischen Syrien und Babylonien in 18. Jahrhundert vor Christus**, Würzburg 1985, P. 57.

10- Wiseman, **the Alalakh Tablets**, 35, 10

11- **Ibid**, 377, 3-4; 269, 3

12- Klengel, H. **Geschichte und Kultur Altsyriens**, Wien und München 1980, P. 59.

١٣- وولي، آلالاخ مملكة منسية، ص ٦١.

١٤- المصدر السابق، ص٦٥.

١٥- المصدر السابق، ص٦٣.

١٦- المصدر السابق، ص٦٤.

17- Klengel, **Op. Cit**, P.66.

١٨- وولي، **آلالاخ مملكة منسية**، ص ٧١.

١٩- المقاطع المترجمة من السيرة الذاتية الواردة في هذا المقال مأخوذة من مقالنا: **إدريمي ملك آلالاخ**، المنشور في **مجلة دراسات تاريخية**، العددان ٢٩-٣٠ عام ١٩٨٨، ص١٠٨ وما بعدها.

٢٠- وولي، **آلالاخ مملكة منسية**، ص ١٠١.

21- Wiseman, **Op. Cit** P. 27.

22- Helck.W. Die Beziehungen **Ägyptens zu Vorderasien im3. Und 2. Jahrtausend V. Chr.**, 2. Verbesserte Auflage, Wiesbaden 1971, P. 293

٢٣- المصدر السابق، ص١٥٩.

٢٤- المصدر السابق، ص١٥٩.